

مُقدمة

قبل عقدين من الزمن، حين بدأت رحلتي مع الحاسوب، استخدمت سلسلة من الحاسوبات الإلكترونية الضخمة التي كانت تهمّهم داخل غرفة معزولة ومكيفة الهواء في تسوية داخل جامعة نيوكاسل، مكان تكتنفه الأسرار، ويسترق الفضوليون النظر إليه من خلال أبواب مغلقة حيث كنت أجمع ستمترات من النماذج المطبوعة المخرمة أو أطلب من تقنيين يعتبرون أنفسهم أنصار آلهة تكديس أشرطة مغناطيسية. كانت البيانات تصل بواسطة البريد، بعد أسبوع من طلبها، في علب معدنية بحجم علب أشرطة الأفلام السينمائية. وكان هناك أشياء مبهمة مثل عامل التكتيل الملائم (blocking factor) الذي كان يتطلب أيامًا من الفرز قبل ترتيب أعمدة الأرقام في مكانها الصحيح. وكانت الغرفة المجاورة خصصت لصفوف من النساء أمام ماكنات إدخال البيانات كنّ يقمن طيلة اليوم بطباعة أعمدة لا تنتهي من الأرقام بكفاءة ودقة ويقمن بالثرثرة والتدخين دون توقف للتحفيض من الملل. في أوائل الثمانينيات دخل الحاسوب الشخصي حياتي، وكان يساق بأوامر «مسدوس» (MSDOS) و«وردستار» مما أراحني من صخب الحاسوبات الإلكترونية الضخمة ومن آليـة الكاتبة ماركة «أوليفيـي». ثم جاء بعده حاسوب «كومباـك» «القابل للحمل» والذي يقصـم الظهر لثقلـه، وكان في ذلك الحين شيئاً مدهشاً وموضع حسد تكنولوجي، رغم أنه كان في حجم حقيقة صغيرة وثقيلاً كـي يحمل أثناء المرور من الجـمارـك. أصبح البريد الإلكتروني متوفـراً في كل مكان في أواسـط عـقد الثـمانـينـات رغمـ أنـ المـودـماتـ كانت تدور بـسرعة 300 بـود (bauds) في الدـقيقةـ. وكانت الأـقـراـصـ المـرنـةـ بالـفعـلـ. وفي

المقدمة

العام 1993 أقنعت أحد الفنانين في جامعة أدنبرة بأن يختلس نموذجاً أولياً لمتصفح (browser)، من الموزاييك. ورغم أن انطباعي الأول، حسبما ذكر، كان نوعاً من خيبة الأمل. صحيح أنه كان شيئاً مثيراً للاهتمام، لكن ماذا سأفعل به، فهل كان ثمة شيء أود أن أتصفحه أبعد من كتالوج المكتبة؟ كان الإنترن特 ما زال مجرد خطوط جافة من النصوص، وكانت أنظمة تشغيل الماكنتوش تأتي وتذهب في حياتي. خلال عقد التسعينات مررت بسلسلة من أنواع الكمبيوترات الشخصية المحمولة، كل نوع أصغر من سابقه، وأسرع، وأقوى، لكن كل واحد منها كان يموت قبل أن أتمكن من نسخ المواد الضرورية. وفي فترة ما أصبح الإنترن特 خط حياتي 24 ساعة يومياً طيلة أيام الأسبوع سواء شبكة عالمية تربطني بالأصدقاء والزملاء أو مكاناً لمتصفح الأخبار أو سماع الموسيقى، أو كمساعد للبحث، أو مكتبة، أو مصدر للبيانات، أو مصدر للتعلم. ولد موقع الشبكة الإلكترونية (website) الخاص بي في أواخر العام 1997، بدأ باسم «توبسي»، ثم أطلق مجدداً بعد ستين بعنوان «www.pippanorris.com». اليوم تناسب شبكة الإنترن特 عبر أجهزة رقمية أخف من السابقة - حواسيب جيب، ووحدات مكرسة للبريد الإلكتروني، وهواتف خلوية - مع شرائح دقيقة في كل مكان، في ماقنات التحميص، ومشغلات الأقراص المدمجة، والسيارات، وآلات الإجابة على الهاتف. وصرنا نعيش في عالم الإنترن特 الشامل طيلة الوقت.

يتحدث هذا الكتاب عن هذا التحول. وأنباء كتابة دراستي السابقة «الدائرة الفعالة»، تنبّهت إلى أنه مع نمو شبكة الإنترن特 بدأت تبلور أدبيات تتناول تأثيراتها الاجتماعية والسياسية داخل الولايات المتحدة. وفي أماكن أخرى كان هناك العديد من النظريات التنبؤية حول الاحتمالات ذات الطابع الديمقراطي لتكنولوجيا المعلومات الجديدة، ودراسات متفرقة حول دورها في بعض الدول، لكن لم يكن هناك عمل منهجي تجاري يقارن التأثير السياسي للإنترن特 في تشكيلة واسعة من المجتمعات. ومن هنا جاء أصل هذا الكتاب.

المقدمة

وما كان في الإمكان صدور هذا الكتاب لولا التشجيع والاحتضان الذي تلقيته من مركز جون سورنشتاين للصحافة والسياسات والسياسة العامة في كلية جون اف. كيندي للحكم في جامعة هارفرد. وقد ساعد العديد من الزملاء في تقديم ردود تقييمية ونقد المسودات الأولى من الكتاب. وأخص بالذكر منهم بروس بيمبر، وديريك بوك، ونولان بوبي، وتامي بور، وإيفور كرو، وريتشارد دافيس، ومارك فرانكلين، وراشيل جييسون، ودوريس جرابر، وأننا غرينيرغ، وإدي هولواي، وديبرا هورلي، وأليكس جونز، وماريون جست، ومارفن كالب، وجيني مانزبردج، وفيكتور ماير - شونبيرغر، وراسل نيومان، ونانسي بالمر، وريتشارد باركر، وتوم باترسون، وفريد شاور والذين يستحقون جميعاً تنويهاً خاصاً بهذا الصدد، لما قدموه من دعم وتشجيع خلال مختلف مراحل وضع وإخراج هذا الكتاب. وما كان من الإمكان إخراج هذا الكتاب أيضاً من دون مساعدة جهات عدة. وأود شكر جوزيف ناي وإيلين كامارك، اللذين أثرا اهتمامي بالموضوع حين طلباً مني المشاركة في اجتماعات بريتون وودز حول مشروع «وجهات نظر في الحكم» في كلية كيندي، التي أصدرت فيما بعد كتاب «ديموكراسي. أورغ» ([democracy.org](#)). وأدين بالشكر أيضاً لأندي كوهت من مركز بيوللناس والصحافة الذي أتاح لي الدخول إلى سلسلة من المسوحات والاستطلاعات. وأنا ممتنة أيضاً إلى X.A2 DG الرأي العام في اللجنة الأوروبية، وخاصة آن ميليش للمسح الباروميتر الأوروبي. وقد ساعد العديد من الطلاب في كلية كيندي على تحريك اهتمامي في هذا المجال، خاصة صف «بي بي بي - 185» لخريف العام 2000 حول تصميم الإنترت من أجل الديمقراطية. وقدم المحتوى التحليلي للموقع الإلكتروني للأحزاب للفصل الثامن فريق دولي من الدرجة الأولى مكون من طلبة كلية كيندي والذي ضم سانتياغو كروهيراس، وتيتانا خاباروزا، ومريام منديكس - مونتالرو، وأنيل بادمانابهان، وماريا راجا، وإيرين راموس، وسابين شيفر. كما لعبت كريس كازاتيلي دوراً مهماً في جمع البيانات للمحتوى

المقدمة

التحليلي للموقع الإلكتروني للبرلمانات التي استخدمت في الفصل 5. وأنا متنية للغاية لتود لابورت وجموعة CyPRG الذين قدموا البيانات التي تخلل الموقع الإلكتروني للدوائر الحكومية التي اشتمل عليها الفصل 6.

طرحت مسودات أولية لفصول من هذه الدراسة في سلسلة من الاجتماعات المهنية المختصة، وأود هنا أن أشكر جميع الذين شاركوا في المناقشات واللقاءات من ساهموا في بلورة أفكارِي أثناء الإعداد لهذا العمل. ويشمل ذلك الاجتماع السنوي لجمعية «الغرب الأوسط» للعلوم السياسية في شيكاغو في مارس/آذار 2000؛ والاجتماع السنوي لجمعية الدراسات السياسية في المملكة المتحدة، في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، في مارس/آذار 2000؛ ولقاء الأكاديميات الوطنية حول الديمocratie الرقمية في مجلس البحوث القومي، واشنطن العاصمة، في مايو/أيار 2000؛ ومؤتمر الإنترنـt والمجتمع IS2k في هارفرد، في مايو/أيار 2000؛ والمؤتمـr العالمي للجمعية الدولية للعلوم السياسية في كيوبيك، آب 2000؛ وللقاء السنوي لجمعية العلوم السياسية الأمريكية في واشنطن العاصمة، أيلول 2000؛ ولقاء الانتخابات والأحزاب والرأي العام (EPOP) في أدنبـرـه، في سبتمبر/أيلول 2000. ويمكن مراجعة جميع الأوراق، والبيانـt، ومصادر التعليم ذات العلاقة على موقعـي على الإنترنـt.

أخيراً، أود الإشارة إلى تنويعـات وملحوظـات المراجعـين المجهـولـين في مطبـعة جامعة كامبريدـج، والدعم الذي لا يقدر بـثمن والاقتراحـات التي قدـّمـها ليـو باـقـانـ من مطبـعة كامبريدـج، وإلى دبليـو لـانـس بـنيـت وـروـبرـت مـ. إـنـتمـانـ وإـلى مـحرـيـ السـلـسلـةـ الخاصةـ حولـ الـاتـصالـاتـ وـالـجـمـعـمـ وـالـسـيـاسـةـ، لماـ أـبـدـوهـ منـ إـخـلاـصـ فيـ هـذـاـ المـشـرـوـعـ.

جامعة هارفرد

كامبريدج، ماساشوسيتس